الثقافة التربوية ما بعد كورونا

حلت كرونا الفيروس التاجي وأربكت العالم بأسره واختلطت الاوراق وأحدثت اختلالات كبرى لدى الافراد والجماعات وخاصة في مجتمعاتنا (المغرب نموذجا) والتي نعيش فيها تلك التفاصيل حيث ظهر بالملموس ان ذلك العصب المحوري في التنمية وهو الفرد كان مسحوقا لم يستوعب ولم يدرك ولم يفهم هذا الحدث الذي حل كالطوفان فكيف له ذلك؟ وهو غير الحامل لثقافة تربوية في تجلياتها المتعددة فبرامجنا التعليمية لم تكن بالمرة تثقيفية ولم تلعب ذاك الدور الطلائعي في تنمية قدرات الافراد على التفكير و التحليل فلا المناهج المعتمدة ولا البرامج ولا العاملين مؤهلين وواعين برسائلهم ودورهم ولا هم مستوعبين ولا مسايرين للمستجدات وتحديات الواقع

وما نعاصره من احداث (سياسية اقتصادية بيئية صحية) وكان اكبر ما فاجئنا به الواقع هذا الوباء الذي عصف بالعالم ولم ندرك حيثياته وتضاربت الاراء حوله هل هو مؤامرة من صنع قوى ارادت السيطرة على العالم وكان التيه الاكبر لان لا قدرة لنا على التحليل ولا المام لنا بالتاريخ وربطه بالحاضر (اجيال كاملة لا علم لها بتاريخ الاوبئة مثلا)

الحاضر الذي اكتسحته الوسائط التكنولوجية المتسارعة والمتزايدة حلت محل الانسان الذي كان محورا اساسيا في العملية التربوية ونقل المعرفة المباشرة والملموسة وبالمقابل لم تستطع الانظمة التعليمة مواكبة ومسايرة كل هذا الصبيب التكنولوجي وكان الانفلات التام والأثر الكبيرعلى كل المجالات

كانت الاغلبية غير قادرة على التفاعل مع هذا الامر الجديد ومعطياته بشكل ايجابي حيث ابانت كرونا عن شلل في الانظمة التربوية التي اخفقت في بناء افراد قادرين على الانتقاء ومواكبة هذا التسابق المحموم والهائل للمعلومات عبر وسائط التكنولوجيا

تداول الناس ذاك الكم من المعلومات عبر(دجالين تجار دين ما يسمى بالمؤثرين والعلماء المتسابقون على السبق/ النكث/ المقالات/ الصحافة المتاجرة.....)

فاثر ذلك على السلوكيات اليومية وانقسم الناس الى من آمن بان هناك وباء ووجب الاحتياط والحذر والتزام قواعد الوقاية والاحتراز وترجم ذلك في الافعال الموصى بها وهناك من اعتبر ان الامر كدبة لا يجب التعاطي معها وبان الامر مرتبط بقضاء الله

وقدره وهده العينة شملت حتى من ولجوا معاهد تعليمية كبرى والذين كما سبق ان ذكرت لم يتضمن مسارهم التعليمي تاريخا ولا علوما ولا فلسفة ولا معرفة تؤكد على استعمال العقل

ولولا بعض الاشراقات التي مدتنا بتلك الفسح خاصة منها الثقافية التي عملت جاهدة على تصحيح المغالطات ودعت الى التفكير وإحالتنا الى بعض المراجع التاريخية والعلمية وذلك عبر بعض من الاعلام السمعي البصري والمكتوب وكذا منصات التواصل الاجتماعي هذه الاخيرة التي كانت مجالا لبروز نوع اخر من المؤثرين يختلف عن ما عهدناه من صناع محتوى التفاهة والابتذال بل على العكس من ذلك ظهرت فئة تحمل مضامين تثقيفية تربوية غنية ببعد مواطناتي

اعتمد بالمغرب منذ انتشار الوباء عدة تدابير منها اعلان حالة طوارئ وضمنها حالة الحجر الصحي قررت بموجبها وزارة التربية والتعليم خوض تجربة التعليم عن بعد ورصدت له دعاية كبيرة مند بدايته ليكشف تلك الهوة الفارقة بين التلميذ والمعلم والمناهج وأكد بان لا ترابط بين العناصر المذكورة وكان الاخفاق واضحا حيث عاش التلاميذ والطلبة والأولياء ازمات خانقة زادت الطينة بلة وأثقلت داك الحجر الذي كان من المفروض ان يكون اكثر امانا

بالنسبة لنا في المغرب كان للمجتمع المدني دورا اساسيا في التعامل بشكل ايجابي واستباقي في تدبير ظروف الجائحة لما راكمه من تجارب خاصة على مستوى عمل القرب والارتباط بالواقع

فالعامل الاجتماعي لعب دورا هاما في مواكبة اغلب الاشكالات وملاحظتها وتفكيكها وقراءتها والتعامل معها وهنا سأحيط ببعض من تجربة مجال اشتغالي كمشرفة على مراكز تعلم الكبار في فدرالية رابطة حقوق النساء التي راكمت سنوات من الخبرة في العمل المباشر مع نساء وفتيات حرمن من حقهن في التعلم كان الامر بالنسبة لنا كذلك مربكا وكان لابد لنا من استثمار ذاك المسار الذي اعتمدناه من (بحث وتداريب وإنتاج ونشر اوراق تربوية) والذي اعتبر منذ البداية التعلم والتربية فعل ثقافي وفي ظل كل هذه المعطيات وهذا الواقع المتفرد الغريب والجديد

(الحجر الصحي) الذي اكد على غلق كل الفضاءات والمراكز اعتمدنا وسائط التواصل الاجتماعي (الواتساب) ضمت مجموعات والتي اتفقت على زمن اللقاء مع المنسقات

اللواتي دأبن على ارسال نصوص سواء باللغة العربية او الفرنسية وتعاقدن بان لا يملئ هذا الفضاء بذاك الصبيب من المحتوى المعتاد على تداوله على الواتساب (ادعية ، فيديوهات، نكت مكرسة للفكر الخرافي او التمييزي) بل ان تكون هذه الوسيلة ذات دور تتقيفي ومعرفي وذلك بإرسال نصوص مسموعة شعر، اغاني ، ربورطاجات قصيرة وبعض المقاطع الترفيهية لتخفيف وطء الحجر الصحي والذي لقي استحسانا وتجاوبا

انطلاقا من قراءتنا لهذا الواقع المأزوم في مجمله والذي يؤكد من جديد ايماننا بتبني مقاربات تربوية متجددة مواكبة للتطورات ومرافقتها بمفاهيم واضحة تعتمد الانسان او الفرد كمحور اساس لاي تغييرشامل بمقومات حقوقية

نعيمة تيكروين

المغرب